إشكالية ترجمة المشترَك اللّفظي في القرآن الكريم

أ.د. لبانة مشوِّح(*)

هذا بحث في الترجمة يتناول تحديداً إشكاليةَ ترجمةِ المشترك اللفظي في القرآن الكريم، نستعرض فيه عدداً من المشتركات اللفظية التي وردت في النص القرآني، ونرصدُ ضِمن منهجٍ وصفي تحليلي بعضَ الأخطاء التي ارتكبها المترجمون في محاولتهم نقل معانيها الدقيقة إلى اللغة الفرنسية، وأسبابها المعرفية والنفسية، والمنهج الذي اتّبعوه في عملية النقل هذه. وقد استقينا مادة البحث من بعض ما ورد في أربع ترجمات(١) هي وفق التسلسل الزمني لتاريخ إنجازها ترجمة كلٍّ من:

- ألبير كازيمرسكي (١٨٤٤).
- نور الدين بن محمود (١٩٦٧).
- جاك بيرك (١٩٩٠)(٢).

(*) عضو مجمع اللغة العربية بدمشق.

(١) سنتناول هذه الأعمال على أنها ترجمات لمعاني القرآن الكريم، كما هو واضح على غلافي الترجمتين الثانية والرابعة، لا على أساس أنها ترجمات للقرآن الكريم، كما ذكِر على غلافي الترجمتين الأولى والثالثة.

(٢) استغرق العمل على إنجاز هذه الترجمة ستة عشر عاماً.

- الترجمة الصادرة عن الرئاسة العامة لإدارة البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد في المملكة السعودية، التي سأحيل إليها اختصاراً بالترجمة السعودية[٣].

وهناك ترجمات أخرى كثيرة لا تتّسع حدود البحث للنظر فيها، من بينها ترجمات كلود إتْيِن سافاري (١٧٨٣) Claude-Étienne Savary، وإدوار مونتيه (١٩٥٨) Edouard Montet، ودونيز ماسون (١٩٦٧) Denise Masson، والشاعر جان غروجان (١٩٧٩) Jean Grosjean ، و جان - لوي ميشون Jean-Louis Michon[٤]، ومحمد حميد الله Mouhammed Hamidullah (صدر لها أكثر من عشرين طبعة)، ورجيس بلاشير (١٩٤٧) Régis Blachère، ودومينيك عبد الله بونو (٢٠٠٨) Dominique Abdullah Penot.

الترجمة الأدبية بين الثنائية والوظيفية:

لا مراء أنّ الترجمة أنواع بحسْب المادّة المترجمة. ولكل نوع من أنواع الترجمة خصائصُه المميِّزة ومقوماتُه وشروطُه التي ينبغي التقيّدُ بها والعملُ بموجب معاييرها ونواظمها. ولعلّ الترجمة الأدبية هي من أشقِّ أنواع الترجمة وأمتعها في آن معاً؛ فهي تقوم من وجهة النظر التحليلية على جملةٍ من الثنائيات (dichotomies) تتجلّى في ثنائيات ثلاث:

١) الثنائية اللغوية.

٢) الثنائية الثقافية.

---

(٣) (أنجزت في عام ١٤١٠ الهجري الموافق لما بين عامي ١٩٨٩-١٩٩٠ الميلاديين). وقد اعتمدت أساساً لها ترجمة محمد حميد الله بعد تنقيحها استناداً إلى ما رأته في أفضل الترجمات الأخرى المتاحة.

(٤) أُنجِزت في النصف الثاني من القرن العشرين، ونشِرت آخر طبعة لها في دار Libislam عام ٢٠١٨.

٣) ثنائية الأثر.

فالمترجم يتصدى للغتين في آن معاً: اللغة المصدر التي يترجم منها، واللغة الهدف التي يترجم إليها، ولكلّ لغة قواعدها ومكوِّناتها الثقافية، كما أنّ ثقافةَ المترجمِ نفسِه ثقافة مركّبة متعدّدة المشارب، تقابلها في المشرب الآخر ثقافةُ القارئ المتلقي للترجمة في اللغة الهدف. والمترجم، من جهة أخرى، متلقٍ لمضامين النص المصدر متأثِّرٌ بها، وهو «يعدّ بذلك كاتباً جديداً للنص» بحسب رولان بارت؛ لكنه أيضاً مرسِلٌ مؤثِّرٌ في آن معاً....

وخلافاً لما يراه ياكوبسون، لا تقوم الترجمة الأدبية بوظيفة تفسيرية فحسب، إذ لا تكتفي بفك رموز اللغة المصدر (décodage) وتأويلِ قوالبها، ثم نقلِها إلى اللغة الهدف في عملية إعادة ترميز (recodage)، على ما يقتضيه ذلك من عُمْقِ معرفةٍ، ومهارةِ صَنعةٍ، ودقةٍ في التأويل وأمانةٍ في نقل المعنى؛ بل تتعدى ذلك كلَّه إلى الأمانة في نقل الأثر الواقع على المتلقي. هي إذن **تطابق في الدلالات والأسلوب والتأثير**.

إذا كانت الترجمة الأدبية عموماً إشكالية في جوهرها إلى هذا الحدّ، فماذا عن ترجمة معاني القرآن الكريم؟

من العبث محاولةُ تقييم أيّة ترجمة لمعاني القرآن الكريم وفقاً لمعايير المطابقة تلك، أو وفق معايير علمية موضوعية دقيقة ومطلقة؛ إذ مهما بلغ المترجم من علوّ شأن بين أهل الصَنعة، ومهما بلغتْ ترجمته من دقّة وإتقان، تظلّ عاجزة عن احتواء جماليات القرآن الكريم ودقّة تعبيره، وقاصرة عن مضاهاة النصّ القرآنيّ بإعجاز لفظه ومعناه، وعمق أثره في النفوس.

أمام هذه المُسلَّمة، لا بدّ من الإصرار على أن تحقق ترجمة معاني القرآن الكريم بالحد الأدنى هدفاً ليس بالهيّن، ألا وهو «**التزام الدقة في نقل**

المعنى كلِّ المعنى»، بحسْب مقولة جول ماروزو[٥] Jules Marouzeau في كتابه ترجمة اللاتينية (la Traduction du latin) (١٩٣١).

وإذا ما اقتصر طموح من يتصدى لهذه المُهِمَّة الشاقة على ترجمة معاني القرآن الكريم فحسب، فإن المصاعبَ دونَه كثيرةٌ جليلة، لعلّ من أعظمها اتّساعَ ألفاظ اللغة المصدر، وتنوّعَ دلالات اللفظة الواحدة، والبعدَ التاريخي لبعض الألفاظ وتطوّرَ دلالاتها عبر الزمن. لقد أعجزت لغة القرآن الكريم أهل اللسان العربي الضليعين بلغتهم، فما بالكم بالمترجمين المستعربين؟! إنّ للألفاظ القرآنية خصوصيتها، ومهمتَها الوظيفية، وهناك دون شك إشكاليةٌ في ترجمتها دينيًّا، وحضاريًّا، ولغويًّا. لكنّنا قصرنا بحثنا هذا على جانب ترجميٍ لغويٍ محدّد هو إشكالية ترجمة المشترك اللفظي في القرآن الكريم. ولا يخلو البحث من بعض أمثلة لمشتركات لفظية يمكن أن تُدرَج في باب الوجوه والنظائر.

ما هو المشترك اللفظي؟

يُعرَّف المشترك اللفظي عند أغلب القدماء والمحدثين بأنه «اللفظُ الواحدُ الدّال على معنيين وأكثر»[٦][٧]، سواء أكانت تلك المعاني متباينة

(٥) جول ماروزو Jules Marouzeau (١٨٧٨-١٩٦٤): أستاذ الأدب واللغة اللاتينية في جامعة السوربون لنحو ربع قرن. له عدة مؤلفات مهمة منها: اللسانيات أو علم اللغة (١٩٢١)، معجم المصطلحات اللسانية (ثلاثي اللغة: فرنسي- ألماني- إنجليزي) (١٩٣٣)، ترتيب الكلم في اللغة اللاتينية (أربعة أجزاء) وضعه بين عامي (١٩٢٢-١٩٥٣)، بحث في الأسلوبيات اللاتينية (١٩٣٥)، بعض مظاهر تشكل اللغة اللاتينية الأدبية (١٩٤٩).

(٦) يُنظر عبد الرحمن جلال الدين السيوطي، المزهر في علوم اللغة وأنواعها، مكتبة دار التراث، القاهرة، ط١. والزبيدي في مقدمة «تاج العروس».

(٧) يميّز علماء الدلالة في الغرب بين المشترك اللفظيّ وهو اللفظ الواحد الدّال على أكثر =

تماماً، أم كان أحدُها هو الأصل والآخرُ مَجازاً له، وهو ما يُقابل (polysemie) في المصطلح اللساني. ويختلف المشترك اللفظي عمّا اصطُلِح على تسميته فقهيًّا بالـ (وجوه)، ومفرده (وجه)، وهو اللفظ المشترك الذي يُسْتعمل في عدّة معان، وهذا لا يخرِجه بالضرورة من باب المشترك اللفظي كما هو حال لفظة (أمْر) كما سيرد لاحقاً.

ويكون المشترك اللفظي في الأسماء والأفعال والحروف، على حدٍّ سواء؛ ومثال ذلك في الأسماء (العين)، «فهي للناظر، ولعين الماء، وللشمس، وللميزان، وللنقد من المال، وللشيء المعيّن»[٨]. ومثاله في الأفعال (قام) و(شَرَى) و (ضلَّ) كما سنرى لاحقاً. ومثاله في الحروف (الواو) التي تكون للعطف والحال. ويشتمل على التضاد: مثل (راح) الذي يحتمل معنيين: ذهب ورجع، و(القِسط)، ومعناه العدل والجور.

إنّ اشتمال الكلمة الواحدة على معانٍ متعدّدة ظاهرةٌ لغوية مطردة في كلام العرب. ولنشوئها أسبابٌ عدّة منها المجاز، والاستعارة، وتعدّد اللغات، واختلافُ البيئة، وتغيّرُ نطق الكلمة مع الزمن بالقلب «كما في فعل خطا الذي قُلِب إلى خاط فصار خاط مشتركاً لفظيًّا يحمل معنيين: خاط من الخياطة، وخاط بمعنى: خطا، أي: مضى سريعاً، ويُقال: خاط في السير، أي: واصل السير»؛ أو بالإبدال في الحرف «وهو ما كان سبباً في تكوين عدد كبير من المشتركات اللفظية كما حدث في كلمة (السَغْب)؛ أي: الجوع»[٩]، التي

= من معنى واحد (polysémes)، والمُتجانسات اللفظية (homonymies)، وهي كلمات لها الشكل نفسه لكنها تختلف من حيث الجذر والأصل اللغوي.

(٨) السرخسي: ١/ ١٢٦.

(٩) يُنظر علم المعاني الجامع، https://www.almaany.com

أصبحت بلغة بعض قبائل اليمن (التغْب) بقلب السين تاء، فأدخلت التغْب في المعاجم بمعنى إضافيٍ هو الجوع والهلاك، إضافة إلى معناها الأصلي وهو الوسخ، فعُدَّت من المشترك اللفظي. ثم لا بدّ من ذكر عامل التطور الدلالي للكلمة في أسباب نشوء بعض المشتركات اللفظية ممّا سيرد لاحقاً.

المشترك اللفظي في القرآن الكريم:

وفي القرآن الكريم الكثير من المشتركات اللفظية التي كانت «سبباً من أسباب اختلاف المفسرين والفقهاء وعلماء الأصول في تأويل الكثير من النصوص القرآنية»[١٠]. وهنا لا بدّ من التمييز بين مصطلحين: الأول لغويّ هو (المشترك اللفظي)، والثاني فقهيّ، وهو مصطلح (الوجوه) الذي يرد في علم الوجوه والنظائر، وقد ورد تعريف (المشترك اللفظيّ) فيما تقدّم؛ أمّا (الوجه) وجمعه (وجوه)، فهو اللفظ المشترك الذي يُستعمل في عدّة معانٍ، وهذا شأن لفظة (الأمّة).

في معرض بحثهم عن معاني القرآن الكريم، استعان المترجمون بلا ريب بدلالات الألفاظ المعجمية، وحين وقعوا على مشتركات لفظية عادوا إلى المفسّرين. لكن دلالة السياق عندهم هي ما رجّحت في الأغلب الأعمّ من الحالات معنىً معيناً على آخر. وقد تنبّه القدماء إلى أهمية السياق وأدركوا الفرق بين مفهومين معاصرين هما دلالة اللفظ النصية (connotation)، ودلالته خارجَ سِياق الخِطاب (dénotation)، ورأوا أن السياق وحدَه هو ما يحدّد دلالة الكلمة.

عندما اختلف أهل التأويل في معنى عدد من المشتركات اللفظية

(١٠) أحمد عزوز، «القرآن الكريم والمشترك اللفظي»، مجلة الوعي الإسلامي، الكويت، ٢٠١٢.

الواردة في التنزيل الحكيم، عوَّل المترجمون على السياق، وفّقوا في ذلك حيناً وأخفقوا أحياناً.

ففي قوله تعالى: ﴿فَأَصْبَحَتْ كَٱلصَّرِيمِ﴾ [القلم: ٢٠] اختلف أهل التأويل في معنى (الصريم): بعضهم قال: إنه الليل، وقيل: بل هو النهار لأن كل واحد منهما ينصرم عن الآخر، وقيل: الصريم الرماد الأسود، وقيل: هو اسم مكان، وتحديداً اسم رملة معروفة في اليمن قاحلةٍ وتبعُد ستة أميال عن صنعاء. وقد حار المترجمون بين تلك المعاني، فترجم بيرك (صريم) بـ comme ténèbres؛ أي: (كالظلمات)؛ واختار كازيمرسكي معنى (الأرض المدمّرة التي تبدو قاحلة): le jardin fut détruit comme si on avait coupé tout.

وفي قوله تعالى: ﴿فَٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ يُخْرِجْ لَنَا مِمَّا تُنۢبِتُ ٱلْأَرْضُ مِنۢ بَقْلِهَا وَقِثَّآئِهَا وَفُومِهَا وَعَدَسِهَا وَبَصَلِهَا﴾ [البقرة: ٦١].

يجوز تفسير كلمة «الفوم» في الآية بالخبز؛ ويجوز أن تفسّر بالحِنطة؛ وهي أيضاً لغة في (الثوم)، بإبدال الفاء ثاءً، فأصبحت (فوم) تُلفظ (ثوم). والفوم أيضاً هو جمع الفُومَة، أي: السنبلة، وقيل: إنّ الفوم سائر الحبوب التي يمكن أن تخبز كالحِنطة والفول والحِمَّص والعَدَس ونحوه. و لعلّ إيثار كلمة «الفوم» في الآية الكريمة كان لتعدّد معانيها. وهنا تكمن صعوبة الترجمة؛ فليس في الفرنسية ما يَحتمل كل تلك المعاني مجتمعة. البعض حار في أمره، فأورد المعنى الأول؛ أي: الحنطة (blé)، ثم أردفه بالمعنى الثاني؛ أي: الثوم (ail) بين قوسين. كذلك فعلت الترجمة السعودية، التي رجّحت للفوم معنى الثوم، لكنها استدركت، فوضعت (blé) المقابل الفرنسي للحنطة بين قوسين. أمّا جاك بيرك فحَزَم أمره واختار مقابلاً لفوم عبارة (aulx)، وهي نبتة الثوم. وكذلك فعل كازيمرسكي (ail). هذا التردّد والارتباك في ترجمة المشترك

اللفظي (فوم) سببه أولاً اختلاف أهل التفسير حولَه، ثم إنَّ السياق يسمح بقَبول معنى الحِنطة والثوم على حدّ سواء، وهذا تحديداً ما تسبّب بالإرباك.

مثال آخر للمشترك اللفظي في قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى جَنَّٰتٍ وَنَهَرٍ﴾ [القمر: ٥٤]. وكلمة (نَهَر) مشترك لفظي، مِن دَلالاتِه المتعدّدة السَّعة في الرزق والمعيشة، ومنها أيضاً الضِياء. ومن معاني النَهَر في اللغة أيضاً مجرى الماء. وبحسب جمهور المفسرين النَهَر هنا هي أنهار الماء والخمر والعسل واللبن. اعتمدت الترجمات الأربع المعنى الثالث المعروف (مجرى الماء)، مع تفاوت المقابلات المُختارة: البعض ترجمها بـ«عيون» (sources)، والبعض الآخر بـ «ينابيع» (fontaines)، وترجمها بيرك بـ(ruisseaux) (جداول)، وتبنّت الترجمة السعودية أيضاً هذا المقابل. لكنَّ أيًّا من المترجمين لم ينقل بدقّة معنى (نَهَر) كما أورده جمهور المفسّرين، ولو فعلوا لاقتضى ذلك منهم ترجمة كلمة واحدة بخمس كلمات، وهذا ما لم يجرؤ أحد منهم على القيام به، علماً أنّهم يترجمون المعاني لا الكلمات، وأنّه من المباح للمترجم في هذه الحال اتِّباع أسلوب الترجمة بالزيادة، أي: بإضافة كلمات تُعين على التعبير على المعنى المحدّد.

كلمة (المنكر) مشترك لفظي، أتت في قوله تعالى: ﴿تَعْرِفُ فِى وُجُوهِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱلْمُنكَرَ﴾ [الحج: ٧٢]؛ أي: إنكار القرآن، وهي هنا مصدر ميمي. ترجمها كازيمرسكي بـ aversion (النفور)، وترجمها بيرك بـ (répulsion) (الاشمئزاز). وأتت كلمة (المنكر) في الآية الكريمة: ﴿وَتَأْتُونَ فِى نَادِيكُمُ ٱلْمُنكَرَ﴾ [العنكبوت:٢٩]، وقد اختلف أهل التأويل في معنى المنكر هنا، فآثر المترجمون الأربعة اختيار المعنى الثاني، وهو قطع الطريق.

وفي الآية الكريمة: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَمْرُنَا وَفَارَ ٱلتَّنُّورُ قُلْنَا ٱحْمِلْ فِيهَا مِن كُلٍّ

﴿زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ﴾ [هود: ٤٠]، (**التنّور**) مشترك لفظي آخر أشكل معناه على المفسّرين. وفي (**التنور**) سبعة أقوال: وجه الأرض، وتنّور الخبز، وموضع اجتماع الماء في السفينة، وطلوع الفجر ونور الصُبح، ومسجد في الكوفة، وأعالي الأرض، وعينٌ في الجزيرة هي «عين الوردة». كلّ تلك المعاني وردت لدى المفسّرين، وهي ليست في جوهرها متناقضة بالضرورة. وكما فعل المفسِّرون، اختلف المترجمون في نقل تلك العبارة إلى الفرنسية؛ فترجمها بيرك حرفيًّا مختاراً المعنى الثاني (غلى التنّور)، وكذلك فعلت الترجمة السعودية لكنها أضافت إلى «غلى التنّور» عبارة (بالماء) ووضعتها بين قوسين (le four se mit à bouillonner (d'eau. وكازيمرسكي اختار المعنى نفسَه (الفرن)، لكنّه اختار له مقابلاً فرنسيًّا أقرب إلى لفظه، وهو (fournaise)؛ وآثر بن محمود المعنى الأخير للتنّور، فترجمها بما معناه: (أخذ الماء يغلي في ينبوعه) (et l'eau se mit à bouillonner dans sa source).

حتّمت إذن ظاهرة المشترك اللفظي على المترجمين التِماسَ المعاني الدقيقة للفظ الواحد استناداً إلى كتب التفاسير. فإذا اختلف المفسِّرون، اقتضت منهم مطابقة اللفظ والمعنى النظرَ في السياق النصيّ، سواء منه الضيّقُ المحدودُ بعبارة، أو السياقُ الأوسع الذي يشتمل على مقطعٍ من آية، أو على الآية كاملة، وربما ذهبوا أحياناً إلى حدّ الإمعان في كل السياقات القرآنية التي ورد فيها المشترك اللفظي الواحد.

فمعنى المشترك اللفظي (قام) يحدّده السياقُ وحدَه؛ فلا يَصِحُّ مثلاً أن يُترَجم (قام) أو أحد مشتقاته حين يرد في عبارة (الساعة قائمة) بنفس الطريقة التي يُترجم فيها حين وروده في سياق آخر. من ذلك مثلاً خمسة سياقات مختلفة وردت فيها كلمة (قائم)، فكان لها في كلّ سياق معنى مختلفٌ عن معانيها في السياقات الأخرى:

١ – في ﴿ فَنَادَتْهُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَهُوَ قَآئِمٌ يُصَلِّى فِى ٱلْمِحْرَابِ ﴾ [آل عمران: ٣٩]: القيام هو الوقوف، وتترجم بـ (debout) (واقف).

٢ – في الآية الكريمة: ﴿ وَمَآ أَظُنُّ ٱلسَّاعَةَ قَآئِمَةً ﴾ [الكهف: ٣٦]، لا يمكن أن يكون معناه الوقوف والانتصاب خلافاً لترجمة حميد الله (je ne pense pas que l'heure se dresse)، بل معنى (قائمة) الوقوع والحدوث الوشيك المفاجئ. وهو ما اهتدى إليه بيرك في ترجمته (je ne crois pas à l'imminence de l'Heure)، وما اتفقت عليه ترجمات مونتيه، وبن الشيخ، والترجمة السعودية، مع تفرد كل منها بأسلوبه الخاص. أمّا نور الدين بن محمود فقد نفت ترجمته معنى (الوقوع) بالمطلق (Je ne crois guère au jugement dernier)، وكذلك فعل كازيمرسكي، إذ ترجم ذلك بنفي وجود يوم الحِساب نفياً قاطعاً: (لا أظن أن الساعة آتية البتة) (je ne pense pas que l'heure arrive jamais).

٣– وفي قوله تعالى: ﴿ ذَٰلِكَ مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلْقُرَىٰ نَقُصُّهُۥ عَلَيْكَ مِنْهَا قَآئِمٌ وَحَصِيدٌ ﴾ [هود: ١٠٠]، (قائم) معناه **موجود ومستمر**، لكن حميد الله والترجمة السعودية PGDRSI ونور الدين وكازيمرسكي لجؤوا إلى الترجمة الحرفية (être debout) بمعنى: الوقوف المنتصب، وهي في الفرنسية صفة ملازمة للإنسان، وهو ما يخالف السياق.

واعتمد بيرك (être encore sur pied)؛ أي: (قائم) من (القيام)، وهي صفة غير ملازمة بالضرورة للبشر، وإن كانت من مرادفات (الوقوف)[(١١)].

٤ – وأمّا في: ﴿ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ أُمَّةٌ قَآئِمَةٌ يَتْلُونَ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ ﴾ [آل عمران: ١١٣]، (قائم) بمعنى: مهتدٍ صادقُ الإيمان. وقد اهتدت أغلب الترجمات إلى هذه الدلالة السياقية بدرجات متفاوتة في الدقة والفصاحة.

(١١) انظر بيرك ومشوِّح ١٩٩٦.

٥- ولـ (قائم) معنى خامس في ﴿ شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَأُوْلُواْ ٱلْعِلْمِ قَآئِمَۢا بِٱلْقِسْطِ ﴾ [آل عمران: ١٨]؛ أي: العادل، أو القائم على شؤون عباده بالعدل، وقد أعطت الترجمة السعودية وترجمة بيرك هذا المعنى حقه: (le Mainteneur de la justice)، وترجمها بيرك بـ(القائم بالعدل)، فيما أخطأ كازيمرسكي؛ إذ لم يُسنِد صفة العدالة لله، بل للعباد الذين يشهدون مع الملائكة بأنه لا إله إلا الله.

ومن الملاحظ في الترجمات الأربع أنها لم تراع دائماً مراعاة منهجية نقل مختلف أوجه ترجمة اللفظة القرآنية الواحدة؛ ومن الأمثلة على ذلك المشترك اللفظي (أمْر) الذي يتصرّف بحسب القرطبي[١٢] على عدة أوجه (أي: دلالات بحسب السياق القرآني)، منها على سبيل المثال لا الحصر:

١) القول: كما في قوله تعالى: ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَمْرُنَا وَفَارَ ٱلتَّنُّورُ قُلْنَا ٱحْمِلْ فِيهَا مِن كُلٍّ زَوْجَيْنِ ٱثْنَيْنِ ... ﴾ [هود: ٤٠]؛ أي: (قولنا). الترجمات الأربع أوردتها، بمقابلات مختلفة، بمعنى الأمر: ترجمها بيرك بـ notre décret (قرارنا المُبرم) ومعناها في اللغة الفرنسية المعاصرة (مرسوم)، وترجمها كازيمرسكي بـ notre ordre، والترجمة السعودية بـ (أمر) commandement، وكلُّها بمعنى الأمر المعروف.

٢) الدِّين: كما في قوله تعالى: ﴿ لَقَدِ ٱبْتَغَوُاْ ٱلْفِتْنَةَ مِن قَبْلُ وَقَلَّبُواْ لَكَ ٱلْأُمُورَ حَتَّىٰ جَآءَ ٱلْحَقُّ وَظَهَرَ أَمْرُ ٱللَّهِ وَهُمْ كَٰرِهُونَ ﴾ [التوبة: ٤٨]؛ أي: دين الله. لا نجد في الترجمة السعودية هذا المعنى الدقيق، بل التزمت معنى (أمر) المعروف (commandement)؛ و ترجمها كازيمرسكي

(١٢) القرطبي (ج٢ص٨٨، ٨٩).

بـ la volonté de Dieu (إرادة الله)، وترجمها كلّ من بن محمود وبيرك بـ la cause de Dieu (قضية الله) أو (سبيل الله).

٣) القيامة: كما في قوله تعالى: ﴿أَتَىٰٓ أَمۡرُ ٱللَّهِ فَلَا تَسۡتَعۡجِلُوهُۚ﴾ [النحل: ١]. هنا أيضاً لم تفرّق الترجمات الأربع بين المعنى الأول الظاهر (أمر، وجمعها أوامر)، والمعنى الثالث الضمني (القيامة)، والتزمت كلُّها بمقابلات (أمر) بمعناها الأوّل: ترجم كلٌّ من بيرك وكازيمرسكي (أمر) بالمعنى الأول المعروف (ordre) و(arrêt)؛ وكذلك فعلت الترجمة السعودية، لكنها شرحتها في الحاشية بأنها يوم القيامة؛ ونور الدين بن محمود وضع لها مقابلاً règne de Dieu (عهد الله). إنّ اللجوء إلى الحواشي، كما اللجوء إلى الإضافات الموضوعة بين قوسين، لدليل على شعور عميق لدى المترجم بالارتباك الناتج عن الرهبة لقدسية النصّ، وهو مما يؤدي أحياناً إلى ترجمة الكلمة لا المعنى.

٤) الذنب: كما في قوله تعالى: ﴿فَذَاقَتۡ وَبَالَ أَمۡرِهَا وَكَانَ عَٰقِبَةُ أَمۡرِهَا خُسۡرٗا﴾ [الطلاق: ٩]؛ أي: جزاء ذنبها. هنا لا يمكن بحسب السياق فهم كلمة «أمر» بمعناها الأوّل؛ كازيمرسكي تفادى الكلمة تماماً بأن ترجمها بـ Elles ont éprouvé des maux mérités (ذاقت آلاماً مُسْتحَقّة)، وبيرك ترجمها بـ comportement (سلوك)، وكذلك الأمر في الترجمة السعودية، ونقل بن محمود اللفظَ بالمعنى نفسِه (conduite). وكلُّها لامست المعنى لكنها لم تنقله بدِقة.

يُستدَلّ مما سبق على أن الترجمة وُفِّقت في نقل معنى المشترك اللفظي، بدرجات متفاوتة، عندما اتكأت على دلالته السياقية لا على دلالته المُعجمية. ومع ذلك، فإنَّ كثيراً من المشتركات اللفظية ألبس على المترجم، فحاد عن جادّةِ الصّواب، كما رأينا. ومن ذلك على سبيل المثال لا الحصر ما كان في كلمة (الفتنة). أول معاني الفتنة في لسان العرب الابتلاء

والاختبار. وقد وردت بهذا المعنى تحديداً في قوله تعالى: ﴿يَوْمَ هُمْ عَلَى ٱلنَّارِ يُفْتَنُونَ﴾ [الذاريات: ١٣]. وكذلك هي الضلال والإثم، والصلة بين المعنيين واضحة. لكنّ ورود اللفظ في مواقعَ مختلفة ألبس على المترجم؛ ففي الآية الكريمة: ﴿وَقَٰتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ﴾ [البقرة: ١٩٣]، الفتنة هي الكفر وليس النزاع والخصومة أو العداوة. لكن الترجمة لم تكن أمينة في نقل هذه الدلالة ضمن سياقها المعيّن: فهِمَها بيرك على أنها (اضطرابات troubles)، ونقلها نور الدين بمعنى: الخطر: (Combattez-les jusqu'à ce que tout (danger) soit écarté) (قاتلوهم حتى يزولَ كلُّ خطر).

ولعلّ ما ألبس على المترجم ورود فعل (فَتَنَ) في مواضع مختلفة بمعنى قريب، كما في: ﴿وَإِذَا ضَرَبْتُمْ فِي ٱلْأَرْضِ فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَقْصُرُوا۟ مِنَ ٱلصَّلَوٰةِ إِنْ خِفْتُمْ أَن يَفْتِنَكُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟﴾ [النساء: ١٠١]: أي: (إن خفتم أن يعتدوا عليكم)، وليس (إن خِفتم أن يضِلوكُم عن دينكم)، وهذا أيضاً ما لم تُوفَّق أيٌّ من الترجمات الأربع في نقله. وتفادياً للّبس نقلتها الترجمة السعودية بالمعنى الأعمّ للفتنة، وهو الابتلاء والاختبار: (vous mettent à l'épreuve)؛ وكذلك فعل كازيمرسكي، لكن بدرجة أقل، إذ نقل (الفتنة) بمعنى الإغراء والدافع على ارتكاب المعاصي (tentation). وكلاهما لم يلامس معنى الاعتداء.

ومن المشتركات اللفظية (الزوج) الذي هو في العربية ثاني الاثنين، وكل واحد معَه آخرُ من جنسه، وهو القرين. لكن هذا المشترك اللفظي أشكل على المترجمين في الآية الكريمة: ﴿ٱدْخُلُوا۟ ٱلْجَنَّةَ أَنتُمْ وَأَزْوَٰجُكُمْ تُحْبَرُونَ﴾ [الزخرف: ٧٠]. نقلها المترجمون بمعنى **الزوجات**، كما ورد في ترجمات كل من بيرك وبن محمود والترجمة السعودية (vous et vos épouses) ولدى كازيمرسكي (vous et vos compagnons). ولنا أن نتساءل:

هل كانت (أزواج) تعني فعلاً (زوجات)، أم هي **القرائن والأشباه**، وفي تلك الحالة ينبغي ترجمتها بـ(vous et vos semblables)؟

وإذا كانت (الأزواج) قد أتت هنا بهذا المعنى، فهل لها نفس الدلالة في قوله تعالى: ﴿ٱحۡشُرُواْ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ وَأَزۡوَٰجَهُمۡ وَمَا كَانُواْ يَعۡبُدُونَ ٢٢ مِن دُونِ ٱللَّهِ فَٱهۡدُوهُمۡ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلۡجَحِيمِ﴾ [الصافات: ٢٢-٢٣]؟ وهل هذا يعني أن زوجتي النبيّ نوحٍ والنبيّ لوط ستدخلان الجنة مع الأنبياء والصالحين؟ وهل امرأة فرعون المؤمنة سيرافقها إلى جنات النعيم زوجُها الطاغية؟ بما أن العدالة الإلهية تقضي بألّا تَزِرَ وازرةٌ وِزْرَ أخرى، يرجحُ أن (أزواج) لها هنا تحديداً معنى أقران. وهذا يعني أن النظر إلى السياق النصيّ في نطاقه الأوسع يتيح للمتلقي/ المترجم إزالة ما قد يعتري المشترك اللفظي من لَبْس، وتحديدَ دلالته السياقية الدقيقة.

ومن المشتركات اللفظية في القرآن الكريم (فَرْش)؛ فمن معانيه (الفِراش) و (الفضاء الواسع من الأرض)، و(الموضِعُ الذي يكثُرُ فيه النبات)، و(الزرع ينبسِط على الأرض)، و (صِغارُ الأنعام والدّواب التي لا تُطيق الحمْل). وقد ألبس هذا أيضاً على المترجمين في قوله تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلۡأَنۡعَٰمِ حَمُولَةٗ وَفَرۡشٗاۚ﴾ [الأنعام: ١٤٢]: (فرش) هنا أتت بمعنى صغار الإبل أو الغنم لا بمعنى الفِراش، وهذا قول أكثر المفسرين، لكن الترجمة السعودية أتت بالمعنى البعيد لفرش، وهو مغاير لهذه الدلالة: (pour diverses utilités) (لمنافع متنوِّعة)، وترجمها كازيمرسكي بما معناه (أنعامٌ مخصصة للذبح) (des animeaux faits pour être égorgés)، وهو المعنى الأقرب؛ أمّا بيرك فتحايل في ترجمته على المعنيين المعجميين، وترجم (فَرْش) بما معناه (أنعام من صوفها يُصنعُ الفرش) (dont la toison fournie

la literie)، فجمع بذلك معنى صغار الإبل والغنم ومعنى الفِراش.

ويمكن للمشترك اللفظي (الذِّكر) أن يعني النطقَ بالشيء، وأن يعني تذكّرَه. وفي قوله تعالى: ﴿إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ﴾ [الأنفال: ٢] المرادُ هنا بحسْب أهلِ العلم، بالذكر ليس النطق باللسان فقط، بل تذكُّرُ اللهِ؛ فهو سميع بصير عليمٌ بذات الصدور. إلا أنّ هذا المعنى غاب عن المترجمين، فعبد النور ترجمها بـ: (عندما يُلفظ اسم الله) (lorsqu'on prononce le nom de Dieu)؛

ونجد المعنى عينه في الترجمة السعودية: (quand on mentionne Allah) (عندما يُذكر الله) بمعنى: يُنطق اسمه أو يُشار إليه قولاً. ووقع كازيمرسكي في الخطأ نفسِه؛ إذ ترجمها بـ: (lorsque le nom de Dieu est prononcé) (عندما يُنطق اسم الله). وحده بيرك نقل المعنى الدقيق: (au moindre rappel de Dieu) (لمجرد تذكّر الله)، والذكر هنا بمعناه التامّ قلباً ولساناً.

لا شكّ في أنّ الوقوع في مثل هذه الأخطاء يخِلّ بأساسيات مبادئ العملية الترجمية كالدقة والأمانة في نقل الدلالات العميقة؛ وينال من الواقع فيطاله بالتشويه؛ إذ يوحي للمتلقي الآخر بما ليس في الدين من عقيدة وممارسات تبتعد في جوهرها عن القشور في عبادة الله جلّت صفاته، وتركّز على جوهر العبادة في تقوى القدير.

ونلاحظ أمراً مشابهاً في ترجمة المشترك اللفظي (تأويله) في الآية الكريمة: ﴿هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا تَأْوِيلَهُۥ﴾ [الأعراف: ٥٣]. المعنى الضمني البعيد لتأويله هنا هو ما وُعِدوا في القرآن وما يؤول إليه أمرهم من ثواب في الجنة أو عِقاب في النار، وليس معناه (تفسيره). أخطأ كازيمرسكي في نقل المعنى فترجم (تأويله) بـ (تفسيره) (son interprétation)؛ وتحايل بيرك مرة أخرى على المعنى، فترجمه بتطبيق أو تنفيذ (la mise en oeuvre)؛ ونقل نور الدين بن محمود المعنى بدقّة: (تحقُّق الوعد) (la réalisation de sa menace et de sa promesse).

والمشترك اللفظي (مسبوقين) في قوله تعالى: ﴿عَلَىٰٓ أَن نُّبَدِّلَ خَيْرًا مِّنْهُمْ وَمَا نَحْنُ بِمَسْبُوقِينَ﴾[المعارج: ٤١] أشكل أيضاً معناه على المترجمين، فآثر أغلبهم ترجمته بمعناه الحسيّ الحركي المكاني أو الزماني (nul ne peut nous devancer)، أي: (لا يمكن لأحد أن يسبقنا إلى التبديل)؛ في حين أن المعنى العميق المجازي هو نحو (لن يُعجزنا أحد). وحدها الترجمة السعودية لامست الأمانة في نقلها للمعنى العميق: لن يمنعنا أحد (nul ne peut nous en empêcher).

وفعل (ضلّ) مشترك لفظي آخر من معانيه المعجمية: زلّ وانحرف عن الطريق، ونسي، وتلاشت عِظامُه في التراب. وفي قوله تعالى: ﴿وَقَالُوٓاْ أَءِذَا ضَلَلْنَا فِي ٱلْأَرْضِ﴾ [السجدة: ١٠]، المعنى هو: إذا مُتنا وصارت لحومُنا وعظامُنا تراباً واختلطنا في الأرض؛ لكنّ بيرك وبن محمود فهما (ضللنا) بمعنى تُهنا وأضعنا الطريق.

ومن معاني المشترك اللفظي (لَمَس): مسَّ بيده، والتمَس، أي: طلب، وأحسّ، واهتدى، و يُقال أيضاً: (لَمَس البصرَ)؛ أي: ذهب بالبصر... إلخ. وفي قوله تعالى: ﴿وَأَنَّا لَمَسْنَا ٱلسَّمَآءَ فَوَجَدْنَٰهَا مُلِئَتْ حَرَسًا شَدِيدًا وَشُهُبًا﴾[الجن: ٨] لمسنا من الالتماس، وليس من اللمس، أي طلبنا خبرها. الترجمات الأربع أخطأت المعنى، إذ نقلتها بمعناها الحسّيّ؛ أي: المسِّ باليد، ترجمها بيرك بمعنى اللمس (nous avons frôlé le ciel)، وحذت اللجنة السعودية حذوه، وترجمها بن محمود بـ (اقتربنا من السماء) (nous avons approché du ciel1)، ونقل كازيمرسكي المعنى نفسه (nous avons touché le ciel).

ومن أسباب إشكال ترجمة المشترك في القرآن الكريم جهل المترجم بخصائص اللغة العربية وبدلالات أبنيتها الصرفية. إنّ من المتعارف عليه عند النحويين أن اسم التفضيل لا يدلّ دائماً على علاقة مفاضلة بين أمرين،

من ذلك قوله تعالى: ﴿وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ﴾ [الروم: ٢٧]، (أهون) هنا بمعنى هيِّن، ولا تفضيل بين شيئين؛ «لأن سبحانه ليس عليه شيء أهون من شيء»(١٣). لكنّ الترجمة السعودية عبّرت عنها على أنها علاقة مفاضلة بين سهولة بدء الخلق وإعادته: [et cela lui est plus facile]، وهي ترجمة مأخوذة عن ترجمة حميد الله:

Et c'est Lui qui commence la création puis la refait; et cela Lui est plus facile.

وكذلك فهم نور الدين محمود صيغة التفضيل:

[Il lui ai encore plus facile de la faire renaître]

(إنه لأسهل على الله عزّ وجلّ أن يعيد الخلق من أن يبدأه)، وهذا مخالف للمعنى بحسب جموع المفسّرين.

وبيرك عبّر بدقّة عن معنى (أهْوَن) وهو «هيِّن»:

C'est Lui qui instaure la création, puis la recommence. Ce qui est pour lui bien facile]

وكذلك فعل كازيمرسكي، لكنه خالف في مكان آخر المعنى الشرعي، إذ ترجم قوله تعالى (ثمّ يُعيدُه) بمعنى: (ثم يعيده إلى ذاته الإلهية)، وهي ترجمة لا تتفق والعقيدة الإسلامية عن طبيعة العلاقة بين الخالق وخلقه:

C'est lui qui produit la création et qui la fera rentrer dans son sein, cela lui est facile.

واشتبهت الألفاظ أحياناً على المترجم لتشابهها؛ فمثلاً كلمة (شروا) في قوله تعالى: ﴿وَلَبِئْسَ مَا شَرَوْا۟ بِهِۦٓ أَنفُسَهُمْ﴾ [البقرة: ١٠٢] معناها (باعوا)

(١٣) ابن يعيش، شرح المفصّل ٤/ ١٣٤.

و(يشري نفسه)، أي: يبيعها، وتعني مجازاً: يضحي بها. لكننا نجد نقيض هذا المعنى في ترجمة نور الدين: «A quel vil moyen ils en sont venus pour racheter leurs âmes» (لبئس ما اشتروا به أنفسهم من ثمن بخس).

وكذلك في قوله تعالى: ﴿وَأَلْقَوْاْ إِلَيْكُمُ ٱلسَّلَمَ﴾ [النساء: ٩٠]، (السَّلَم) هو الخضوع والاستسلام، ونجدها بهذا المعنى أيضاً في قوله تعالى: ﴿وَأَلْقَوْاْ إِلَى ٱللَّهِ يَوْمَئِذٍ ٱلسَّلَمَ﴾ [النحل: ٨٧]، أي: استسلموا للهِ يوم القيامة. معنى الآية إذن: انقادوا لكم طائعين مستسلمين. لكِنَّ السَّلَم التبس على المترجمين الأربعة مع السِّلْم، فترجموا كلُّهم الآية بمعنى مختلف تماماً، وهو: عرضوا عليكُمُ السِّلم.

الخاتمة:

رصدنا في هذا البحث، ضمن منهج وصفي تحليلي، استناداً إلى أربع ترجمات فرنسية لمعاني القرآن الكريم، إشكالية ترجمة المشترك اللفظي في القرآن الكريم والآلية التي اتّبعها المترجمون لتمثُّلِ معانيها، ونقلِها إلى الفرنسية. فلم يتّكئوا على دلالاتها المعجمية لتعدّدِها، بل اعتمدوا أولاً على ما ورد في كتب التفاسير، وحين وقعوا فيها على اختلافٍ في التأويل، اتّكؤوا على السياق، ضاق أم اتّسع. لكنّ شعورَهم برهبة النص، وتهيُّبَهم من عظمته، وحساسيةَ تناول معانيه ألجأتهم في كثير من الأحيان إلى نقل المشترك اللفظي بمعناه الأعمّ الأوسع؛ بل وقعوا في كثير من الأحيان في فخّ الترجمة الحرفية رهبة أو استسهالاً أو من باب الحيطة والحذر، وهو ما أساء إلى دلالات النصّ العميقة. وكذلك أشرنا بعجالة إلى أنَّ من الأخطاء الترجمية ما نجَم عن قصور في فهم دلالات بعض الصيغ والتراكيب اللغوية من مثل التعريف والتنكير، وصيغ التفضيل وغيرها[١٤]، مما أخلَّ بالمعنى وأفقد الأسلوب سلاسته والنص رونقه.

(١٤) سيأتي التوسّع في هذه الأمور وغيرها في بحث آخر.

وأخيراً وليس آخراً، ونظراً لما للترجمة من أهمية في بناء جسور التواصل المعرفي وتذليل السبل أمام تغليب الحوار الثقافي بين الأمم، فإن التصدي لبحث إشكاليات ترجمة معاني القرآن الكريم يلبي حاجة ملحّة في تصويب الممارسات الترجمية الأدبية عموماً، ووضع معاييرَ نرجو أن تكون دقيقةً لترجمة معاني القرآن الكريم، علّ ذلك يسهم في وصول تلك المعاني المقدسةِ النبيلةِ إلى متلقيها في اللغات والثقافات الأخرى سليمة من كل خطأ دلالي ولغوي، نقية من كل تشويه مفهوميٍّ حضاريّ.

* * *

المصادر والمراجع

- ابن جني، الخصائص، (خصائص الحروف العربية ومعانيها).
- أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم بن منظور الإفريقي المصري، لسان العرب، دار صادر، بيروت. والمكتبة الشاملة الحديثة، https://al-maktaba.org.
- إبراهيم أنيس، في اللهجات العربية، مكتبة الأنجلو المصرية.
- أحمد عزوز، «القرآن الكريم والمشترك اللفظي»، مجلة الوعي الإسلامي، الكويت، ٢٠١٢.
- أبو جعفر محمد بن جرير الطبري، تفسير الطبري: جامع البيان عن تأويل آي القرآن، تحقيق عبد الله بن عبد المحسن التركي وعبد السند حسن يمامة، مركز البحوث والدراسات العربية والإسلامية بدار هجر للطباعة والنشر، ط ١/ ١٤٢٢هـ- ٢٠٠١م.

- أبو عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي، الجامع لأحكام القرآن (تفسير القرطبي).
- أسعد حومد، أيسر التفاسير، دار البشائر، دمشق، ١٩٩٤.
- الأصفهاني، مقدمة التفسير للراغب، المطبعة الجمالية، مصر، ط ١/ ١٣٢٩هـ.
- جلال الدين السيوطي، معترك الأقران في إعجاز القرآن، ط ١، بيروت، دار الكتب العلمية، ١٤٠٨هـ- ١٩٨٨م.
- جلال الدين السيوطي، الإتقان في علوم القرآن، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان، ١٩٨٧.
- حازم ذنون إسماعيل، «اختلاف المعنى لاختلاف الحروف والحركات في القرآن الكريم»، مجلة التربية والعلم، المجلد ١٥، العدد ٤، ٢٠٠٨).
- رمضان عبد التواب، فصول في فقه العربية، مكتبة الخانجي بالقاهرة، ط ٦/ ١٤٢٠هـ- ١٩٩٩م.
- ستيفن أولمان، دور الكلمة في اللغة، ترجمة وتقديم وتعليق كمال محمد بشر، مكتبة الشباب.
- عبد المجيد السنيد، «أكثر من مئة كلمة قرآنية يخطئ في فهمها بعض الناس»، ١٧ تشرين الأول٢٠١٢، http://future3.maktoobblog.com.
- عبد الرحمن جلال الدين السيوطي، المزهر في علوم اللغة وأنواعها، تحقيق محمد أحمد جاد المولى وعلي محمد البجاوي ومحمد أبو الفضل إبراهيم. مكتبة دار التراث. القاهرة.
- علي عبدو الإبراهيم، «ترجمة القرآن بين الممكن والمستحيل»، مؤتمر الترجمة في الدول العربية أهميتها ودورها في التواصل الحضاري بين الأمم، ج٢، اللاذقية- سورية، ٢٠٠٦.
- صالح عبد الله محمد الشثري، المتشابه اللفظي في القرآن الكريم

وأسراره البلاغية، أطروحة دكتوراه، جامعة أم القرى،٢٠٠١.

- القرآن الكريم وترجمة معانيه إلى اللغة الفرنسية، تنقيح وإعداد الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد، المملكة السعودية، ١٤١٠هـ الموافق لما بين عامي ١٩٨٩-١٩٩٠م.
- كاظم فضيل الغريري، «الاشتراك اللفظي في ضوء الدلالة المحورية في كتاب مجمل اللغة لابن فارس، مجلة دراسات إسلامية معاصرة، العدد السادس، السنة الثالثة، ٢٠١٢.
- لبانة مشوِّح، ترجمة أيسر التفاسير إلى اللغة الفرنسية، ج١، أيسر التفاسير، دار البشائر، دمشق، ١٩٩٦.
- نور الدين بن محمود، ترجمة معاني القرآن الكريم، دار الفكر، بيروت.
- Berque, J. (1995), Le Coran, Essai de traduction revue et corrigée, Albin Michel.
- Hamidullah, M, (2016), Le Saint Coran, traduction en langue française du sens de ses versets revue et corrigée par le complexe du roi Fahd, version online.
- Kazimirsky, A. (1944), Le Coran, Edition de Kazimirsky, Classiques Garnier, édition électronique, www.lenoblecoran.fr.
- Morouzeau, J, (1931), La traduction du latin, Société d'édition "les Belles lettres".

❊ ❊ ❊